التأثيرات المعاصرة للمشروع الثقافي الاستعماري في الجزائر
- حركة التنصير الأسباب والعلاج -

د / صالح نعمان

جامعة الأمير عبد القادر. قسنطينة.

المقدمة

لقد جسدت حركة الكاردينال لافجري روح الاستدمار الحديث والحروب الصليبية القديمة، ومثلت قمة التحالف السياسي الديني. حيث مهد الاستعمار الاستيطاني الطريق لهذا الكاردينال بما قام به من تفقير للمجتمع وتجهيله وعزله عن دينه، وقدم له كل الدعم المادي والمعنوي لإتمام المشروع الصليبي القديم حتى يعيد الجزائر إلى حضيرة أغوسطين العنابي حسب زعمهم.

ورغم فشلهم الذي جسدته انتصارات جمعية العلماء على المستوى العلمي والديني والسياسي وثورة التحرير على المستوى السياسي العسكري التي انتهت باستقلال الجزائر 1962، حيث لم يبق بعد الاستقلال من القرى المسيحية في واد الشلف إلا القليل، وغادر أغلب المستوطنين المسيحيين والمسيحيون الجزائريون بلادنا إلى فرنسا[1] ،إلاّ أنّهم ذهبوا مع أمل العودة بعد

---

[1]-- الشيخ المهدي البوعبداسي: الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي مجلة الأصالة، ع8،ربيع2-جماد الأول هـ/ ماي- جوان 1972 ص305- 320

إعداد العدّة وتسنح الفرصة، إذ أدركوا أنه لا يمكن لحركة التنصير أن تنال ثقة المسلمين في الجزائر ولا في غيرها من البلاد الإسلامية ومن ثم لا يمكن للمشروع الثقافي الاستعماري أن يتحقق في تلك الظروف.

فكان لا بد أن تعدل الخطة وتطوّر الوسائل لتتلاءم مع ظروف جديدة يعملون على إيجادها في الجزائر ليتم استغلالها.

وبالفعل لقد استغل منشطو الحملة التنصيرية على الجزائر، الأوضاع الأمنية والمادية والمعيشية الصعبة، والفراغ الروحي لبعض الجزائريين للإيقاع بهم في المسيحية، حيث بدأت هذه الحركة في نشاط سري بعد الاستقلال مباشرة ليصبح اليوم علاني وبكل حرية.

أولا:علاقة حركة التنصير بالمشروع الثقافي الاستدماري :

بعد تمكن القوات الفرنسية مباشرة من بسط وإحكام سيطرتها على الجزائر توجه القساوسةَ الفرنسيون بمساعدة آخرين استقدموا من أوروبا إلى عدة مناطق في الجزائر وخاصة الصحراء، وبالدرجة الأولى منطقة القبائل، مستعملين طرقا تمويهية حتى لا يثيروا الشبهات حولهم، كارتداء البرنوس الأبيض، الذي أصبح فيما بعد صفة لصقة بهم ولقبا يدل عليهم بفضل الكاردينال لافيجري وهو (الآباء البيض Les pères blancs) الذي لقي تأييدا كبيرا في حركته التنصيرية الضخمة الخطيرة والدعم غير المشروط من طرف الإدارة الإستدمارية والمستوطنين الأوروبيين الذين عملوا على تحويل المساجد الجزائرية إلى كنائس والبعض الآخر إلى اصطبلات لخيول الجنود الفرنسيين الغزاة، كما قاموا بإلغاء المدارس ومعاهد التعليم الإسلامي واللغة

العربية التي كانت سائدة وبفضلها كانت نسبة المتعلمين حسب إحصائيات فرنسية 90 بالمئة قبل الاحتلال.

فلتحقيق مشروعهم الثقافي الاستدماري استخدمت إدارة الاحتلال سياسة الدمج لطمس السيمات المميزة للمجتمع الجزائري وأهمها الإسلام واللغة العربية وكل ما له صلة بهما من مؤسسات وأفكار وشعارات أو رموز، أو أسماء وبذلك بتفقير المجتمع وتجهيله وإبعاده عن دينه وعزله عن لغته حتى تتم تخليته كليا من أصوله تمهيد لتحليته بالنصرانية والقيم الغربية بتقديم المساعدات الاجتماعية والاقتصادية في طبق الإنجيل باسم المسيحية.

أ- تفقير المجتمع :

لقد اتبعت إدارة الاحتلال الفرنسي وسيلتين أساسيتين لتفقير الشعب الجزائري وهما اقتطاع أراضيه وإرهاقه بالضرائب.

1- اقتطاع الأراضي ونزع الملكية :

فلاقتطاع الأراضي واحتكارها طبقت سياسة حصر السكان، حيث وضعت حراسة قضائية على أملاك الذين نزحوا وقتلوا، وعلى أراضي القبائل التي كانت ثور على الاحتلال، وأممت أراضي البيكوية التركية والأراضي البائرة؛ وبحجة تنظيم النظام العقاري أصدرت مراسيم 1844 تنزع بموجبها الملكية لعدم زراعة الأرض.

ومن أخطر ما صادرته إدارة الاحتلال لصالح المستوطنين ضربا للإسلام وأحد أهم مقومات الشعب المسلم، أملاك الأوقاف الإسلامية وإلغاء مؤسساته

فبموجب قرار الجنرال كلوزال المؤرخ في 8 سبتمبر 1830 تم الاستيلاء على جميع أملاك الأوقاف في المناطق التي احتلوها، ثم بإصدار قرار 7 ديسمبر 1830 أصبح لهم الحق في التصرف فيها، ونتيجة لذلك «لم يبق بالعاصمة وحدها سوى أربعة مساجد من بين 160 مسجدا وزاوية، حولت كلها إلى كنائس ومراكز للشرطة و اصطبلات لخيول الحرس المتجول»[2].

وبموجب قرار 23 مارس 1843 الذي أصدره الجنرال السفاح بيجو ضمت إلى أملاك الدولة كل الأوقاف الإسلامية ولاسيما أوقاف مكة والمدينة التي كانت كبيرة جدا يسيل لها لعاب الطامعين- كما قال الدكتور سعد الله [3].

فكانت قرارات مصادرة أملاك الأوقاف الإسلامية وتدمير مؤسساتها يخدم هدفين معا من أجل هدف أسمى منهما : اقتصادي وهو زيادة رصيد الميزانية الفرنسية وتوسيع أملاك المستوطنين من جهة وتجويع وتفقير المجمع الجزائري من جهة أخرى.

وسياسي هو السيطرة على أصحاب الرأي المضاد للوجود الفرنسي وهذا خدمة للهدف الديني وهو تنصير الشعب المسلم الذي يحاولون تجويعه وتفقيره.

---

[2] - يحيى بوعزيز : سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830-1945.ص 73.

[3] - أبو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. ج2 ص 11-12، وعبد الرشيد زروقة : جهاد ابن باديس، ص 26-27.

وذلك لأن الأوقاف الإسلامية كانت مصدر رزق وعيش قطاع كبير من العلماء والمثقفين، والأئمة، وفقراء الأمة يعيشون بفضلها بعيدين عن أعين السلطة وقيودها في تفكيرهم وتصوراتهم للحياة، «وبعبارة أخرى فقد كانت مؤسسات الأوقاف خلايا سياسية وثقافية ودينية وقلاعا تضم أصحاب الرأي المعادي للفرنسيين»[4] والوجود المسيحي في الجزائر.

2- الضرائب :

ولإخضاع الأهالي المسلمين واستعبادهم بالتفقير عمدت إدارة الاحتلال إلى فرض تكليف ضريبي مزدوج متزايد هو الضرائب العربية والضرائب الفرنسية (المباشرة وغير المباشرة) إلى جانب الغرامات الحربية التي فرضت على الثوار المتمردين عليها، حيث جيبت منها 36 مليون فرنك ذهب، والرسوم والإتاوات العقابية التي يسدونها مقابل المخالفات القانونية التي فرضها قانون الأهالي أو الإدماج سنة 1874.

حيث كانت هذه الضرائب تشمل كل ما يمتلكه الجزائري أو يصدر عنه من لفظ أو سلوك مخالف.

ب- محاربة الدين الإسلامي :

لقد كانت واضحة الأهداف الاستراتيجية للمشروع الثقافي الإستدماري المسيحي في الجزائر، فالمستوطنون لم يحتلوا الجزائر ولم يقهروا شعبها بالفقر

---

[4] - أبو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء ج2-ص12.

والجهل ويستعبدوه لتحقيق أهداف اقتصادية بحتة مؤقتة، حيث لم يكن احتلال الأرض كافيا في خططهم، بل وجب محاربة دين الأهالي وتحويلهم إلى نصارى لتصبح الجزائر المسلمة أرضا فرنسية مسيحية.

وما يؤيد ذلك تصريحات العديد من الشخصيات العسكرية والسياسية والدينية الفرنسية والاستيطانية الأوروبية عشية احتلال الجزائر، فقد قال قائد الغزوة الفرنسية الجنرال «دي بورمون» سنة 1830 بمناسبة احتفاله باستيلائه على الجزائر، مخاطبا المرشدين العسكريين : «قد فتحتم معنا من جديد باب المسيحية في إفريقيا ورجاؤنا أن تزدهر فيها عما قريب الحضارة التي كانت قد انطلقت بها »، وقال «لويس فويو» كاتب «الجنرال بيجو» حاكم الجزائر- سنة 1841 في كتاب له : «إن الجزائر ممتلكة مسيحية ولن تكون تونس والمغرب مثلها قبل زمن طويل ... وإن العرب لن يكونوا لفرنسا إلا إذا صاروا فرنسيين ولن يكونوا فرنسيين إلا إذا تنصروا »، وشرح أحد الضباط الفرنسيين في مقال نشر سنة 1846 لماذا يجب تطبيق سياسة التنصير فقال : «إن تعصب المسلمين هو الأمر الحقيقي الذي يدعم المقاومة التي تواجهها في افريقيا، وهذا الدين (الإسلام) الذي احترمناه إلى يومنا هذا نقترح الآن بجرأة محاربته، وهكذا نثبت قوتنا وننشر طقوسنا على أنقاض الإسلام».

أما أسقف الجزائر السيد «دوبوش» فصرح أن وجود الإسلام قد انتهى وبعد نصف قرن لن يبقى له أثر إلا عند الهمجيين، وستبعث به أوروبا إلى الصحاري التي لجأ إليها لينقرض هناك، وهكذا ستكمل مشروعها الذي بدأت في تنفيذه أثناء الحروب الصليبية و هو ما أكده المستشرق الفرنسي (هانوتو)

مستشار- وزارة الاستعمار الفرنسي-[5] وطبعا لا يكون ذلك إلا بمحاربة القرآن واللغة العربية وتنصير الجزائريين المسلمين، كما كان يعتقد ذلك وطبقه القس (لافيجري Lavigerie).

فلم تكن هذه الأهداف وليدة لخطة الاحتلال وإنما وليدة الأحقاد الصليبية، وامتدادا لحلم استرداد الأراضي المسيحية القديمة كما استردوا الأندلس، واللحاق بالموريسكيين (مسلموا الأندلس) لإبادتهم، وإزالة المسلمين قاطبة من هذه المناطق، وخاصة أن الجزائر تمثل بوابة إفريقيا عبرها انتشر الإسلام في هذه القارة؛ فقد عبر عن هذا الحقد الدفين القس (بيردان P. Pierre Dan) سنة 1637 في كتاب له، يعتبر فيه المسلمين همج ملحدين أعداء ألداء للمسيحيين، يجب محاربتهم بالتنصير أو الإبادة، وفي ذلك يشيد بملك فرنسا (سان لوي Saint Louis) 1226-1270 الذي يعد رمز روح الحروب الصليبية[6].

ولكن ما هي أساليب المستوطنين والاحتلال الفرنسي في محاربة الدين الإسلامي و تجسيد مشروعهم الثقافي؟

---

[5] -محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث و صلته بالاستعمار الغربي، ص30-35.

[6] - Le père Pierre Dan : (histoire de Barbarie et de ses corsaires), Paris 1637, d'après Denise BRAHIMI : opinions et regards des européens sur le Magrèb aux XVIIème et XVIIIème siècle. P 13-14 et 13-33.

لقد اتبعوا في ذلك سياسة عزل الشعب الجزائري عن لغته ودينه وتجهيله حتى ينسلخ كلية عن مقوماته ويفرغ من محتواه الحضاري الإسلامي ليصبح التنصير عملية ملء لفراغ وتعليم بعد جهل وتقدم ورقي بعد تخلف وتدهور.

1- محاربة اللغة العربية وتجهيل المجتمع :

لقد ربط المستوطنون الأوروبيون والسلطة الفرنسية سياسة التعليم في الجزائر بسياستهم الاستيطانية ومشاريعهم التنصيرية في الجزائر، والمتمثلة في تغيير لسان القوم وتزييف تاريخه وتحريف حضارته تطبيقا لسياسة الإدماج، ولكن هذا الأمر لا يمكن أن يتم لهم إلا على إنقاذ المدارس العربية الإسلامية واللغة العربية التي كانت في نظرهم تشكل حاجزا وتحول دون تطبيق مشاريعهم واعتبارها لغة القرآن الكريم بالقضاء عليها يتم القضاء على الدين كله.

ومن ثم استهدفوا القضاء على التعليم العربي ومؤسساته في البلاد.

وكانت أول خطوة في تحقيق هذا الهدف حجز كل الأوقاف الإسلامية سنة 1834 ليحرم المؤسسات الدينية والتعليمية (المساجد والزوايا) من السند المالي الذي كان المصدر الوحيد للحياة الثقافية والاجتماعية وفعالية المؤسسات التعليمية، ثم رفض التعليم الديني وتعليم اللغة العربية باسم سياسة الدمج والعلمانية فأغلقت المدارس والمعاهد العربية، وتركت المدارس القرآنية والزوايا تضعف بمراقبتها والتضييق عليها حتى أغلقت، فلم يبق من المدارس سنة 1882

سوى 16 مدرسة ابتدائية[7] فنقص من جراء ذلك عدد معلمي القرآن والمدرسين وتوقف التحاق أبناء الشعب بالمدارس وارتفعت نسبة[8] الأمية والجهل، بعدما كان الجزائريون يحسنون القراءة والكتابة وكان في كل قرية مدرستان اثنتان سنة 1834،فبفقدان ذلك المصدر المالي (الأوقاف) فقدت المؤسسات التعليمية والدينية المتبقية، وهي واحدة في المجتمع الجزائري المسلم فعالياتها وحيويتها، وتراجعت شيئا فشيئا إلى أن اضمحلت واندثرت في بداية القرن 20[9]، وتقهقرت اللغة العربية إذ أصبحت لا تكاد تدرس، وكان ذلك بإصدار مجموعة من القرارات.

ولم يكتف المستوطنون بهذه الإجراءات تحقيقا لأهداف سياستهم التجهيلية للمجتمع المسلم بل رفضوا حتى تعميم التعليم الفرنسي، ومنعوا الجزائريين من اللحاق بالمدارس الفرنسية[10] حتى يسهل استعبادهم وتنصيرهم. ثم أن العدد القليل الذي التحق بعد ذلك بالمدرسة الفرنسية، والمدرسة الفرنسية الخاصة (مدارس القربى) كان موجها لخدمة المحتلين.

ولم يتوقف الأمر عند محاربة اللغة العربية في المدارس والكتاتيب بل عملوا على محاربة لغة الخطاب العربي في المجتمع بغرس التعددية اللغوية في المجتمع لزعزعة ثقته بهويته وغرس روح التفرقة بين أبناء المجتمع الواحد وذلك بتقسيم

---

[7] – شارل روبير أجيرون : المرجع السابق، ص 112 و106-107.

[8] – عمار هلال : أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة ص 108.

[9] – عمار هلال : : المرجع السابق. ص 103-105.

[10] – شارل روبير أجيرؤن : المرجع السابق 112-113.

اللغة إلى عربية قديمة ميتة، تمت محاربتها بالوسائل السابقة الذكر، عربية محلية (دارجة) غير مكتوبة وهي التي يعمل على تثبيتها وتطوير استعمالها على حساب الفصحى، ولهجات محلية (أمازيغية) عمل عن طريقها إلى إثارة النعرة الشعوبية واستأصال أصحابها من لغة دينهم العربية، ولغة فرنسية أجنبية عصرية هي لغة الحضارة والتقدم، وذلك محاولة منهم لكي يفتحوا الطريق أمام لغتهم الفرنسية وثقافتهم الأوروبية، ولغرض التفرقة لخدمة مصالحهم[11]. ويعزل المجتمع داخليا عن دينه و أصالته وخارجيا عن محيطه العربي الإسلامي. ولذلك اعتبر الاحتلال الفرنسي اللغة العربية لغة أجنبية وميتة، لأن اللغة الفرنسية كانت قد أصبحت لغة الجزائر الرسمية منذ قرار الإلحاق سنة 1834.[12]

2- عزل المجتمع عن دينه :

لعزل الجزائريين عن دينهم ركز الاحتلال الفرنسي بدرجة كبيرة على سياسة الاستيعاب أو الإدماج، إذ سعى إلى تحويل الجزائريين إلى فرنسيين من الدرجة الثانية. ولما فرنسا لم تكن طوال تاريخها مسلمة، وتزعمت الحروب الصليبية والحركات التنصيرية للكنيسة الكاثوليكية، فإن سياستها الإدماجية كانت تعني معارضة الدين الإسلامي، وإعلان الحرب على كل مقدساته ومؤسساته وكل ما يتعلق به من أعراف وتقاليد. إذ الإسلام و«المواطنة الفرنسية» لا يجتمعان في نظر القانون الفرنسي، ذلك أن الإسلام عندها يعني

---

[11] - أبو القاسم سعد الله : منطلقات فكرية. ص 160. و راجع محمد البهي، : المرجع السابق،ص520.

[12] - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية. ج.2-1900-1930. . ص 63

التخلف والانحطاط والمواطنة الفرنسية تعني الرفعة والتقدم. فاقتضى هذا التفكير وهذه المغالطة محاربة المؤسسات الإسلامية مباشرة أو مناورة (خاصة بين عامي 1870-1890)، فألغي القضاء الإسلامي تدريجيا و كانت البداية بمنطقة القبائل سنة 1874، وألغي المجلس الأعلى للشريعة عام 1875، كما ألغيت المجالس الاستشارية، وخفظ تدريجيا عدد محاكم القضاء الشرعي من 184إلى 61 (1890). وحلت محلها محاكم صلح بصلاحيات محدودة يسيرها قضاة فرنسيون يطبقون القانون الفرنسي[13]، ويفسر هذه السياسة تصريح (الأميرال دوفايدون) الذي يقول فيه : «يجب أن يمحى القاضي المسلم أمام القاضي الفرنسي، فنحن الفاتحون، فلنعرف كيف نفرض إرادتنا»[14].

وبذلك أخضع الشعب الجزائري المسلم إلى احتكام القانون الوضعي الفرنسي، أو العرف والعادات، ومنع من الحكم والاحتكام إلى أحكام الشريعة الإسلامية. ومن جهة أخرى روقبت الزوايا والمساجد والكتاتيب ،حيث تدرس العلوم الشرعية والعربية، وضويّقت وأغلق الكثير منها خاصة أنها كانت مصدر وعي الشعب واستنارته وروح مقاومته للاحتلال والتنصير.

فكان لا بد من اتباع طريق الغلق أو الاستيعاب إلى التحويل.

---

[13] – شارل روبير أجيرون : المرجع السابق. ص 105-106.

[14] – نفس المرجع ص 105.

فقد أغلقت كثير من المدارس والمعاهد والزوايا وحول الكثير من المساجد إلى كنائس كمسجد كتشاوى بالجزائر العاصمة، ومحاربة الفقهاء والعلماء وتشريدهم وتفقيرهم كما سلف الذكر.

وأكثر من ذلك عمدت فرنسا كمرحلة تمهيدية إلى تحريف الدين الإسلامي وتعطيل أحكامه وتزييف حقائقه وذلك بتكوين ورعاية طبقة دينية إسلامية رسمية مأجورة من الدولة مهمتها إقامة العبادة في المساجد، وتعليم الدين بالمنظور الفرنسي الإستشراقي العلماني، ومكافحة النشاط السري للجمعيات الدينية أي مقاومة الجهاد.

والغريب أن فرنسا العلمانية لم تطبق قانون فصل الكنائس عن الدولة في الجزائر، ورغم أن الإسلام لا اكليروس فيه (رجال دين) فإنها عملت على إيجاد هذا «الاكليروس المحلف»[15] ورعايته، واستغلت إلى جانب هؤلاء الطرقية وزواياهم وأفقدتهم هيبتهم ونفوذهم في المجتمع بسبب عمالتهم للاحتلال وتواطئهم معه الذين شاعت عن طريقهم البدع ومظاهر الشرك في المجتمع الجزائري، وأصبحت عامل[16] تخدير للشعب وباعث خمول وسلبية، بعدما كانت مصدر العلم والفاعلية والحصن الحصين لهذا الدين الحنيف دين التوحيد.

---

[15] – شارل روبير : تاريخ الجزائر المعاصرة ص 107.

[16] – عبد الرشيد زروقة : جهاد ن باديس ص 44-48.

3- حركة التنصير المباشرة :

لقد كان المستوطنون الأوروبيون أكثر حماسا وتطوعا للعمل التنصيري في الجزائر أكثر من الدولة الفرنسية، وذلك ليس لحب واحترام فرنسا للإسلام ولكن تريثها هذا كان خطة سياسية اعتمدت على التدرج والدهاء والمكيدة. فقد عمل المستوطنون والدولة الفرنسية، على تحويل كثير من المساجد إلى كنائس أو إسطبلات أو ثكنات عسكرية. ونجح المستوطنون في بناء كنائس في كل تجمعاتهم السكنية والمزارع التي أنشؤوها بتأييد من الحاكم الفرنسي، إلا أن أكبر عمل قامت به فرنسا والمستوطنون في تنصير الجزائر باسلوب مباشر كان يتمثل في تدعيم نشاط لافيجري التنصيري[17] المتمثل فيما يلي :

3-1- آراء الأسقف لافيجري[18] :

كان لافيجري تشبع بالآراء الإستعمارية قبل أن يتولى رئاسة الكنيسة في الجزائر وقد عين في هذا المنصب بتزكية من الوالي العام الماريشال «ماك ماهون»، إلا أنه سينشب بينهما الخلاف فيما بعد. إن لافيجري أظهر عداوته للإسلام مثلما فعل الذين سبقوه فقال سنة 1860 : «إنه من الواجب علينا أن نعدل عن الأخطاء التي ارتكبناها في الماضي، فيجب ألا نحصر (الشعب

---

[17] - مصطفى عبد الغني : ابن خلدون – تحالف المبشر والسياسي وانظر عبد الله أبو إسلام أحمد :« تاريخ الوجود التنصيري في إفريقيا » مجلية العالم الإسلامي، عدد 154، جمادي الآخر 1421 سبتمبر 2000.

[18] - أبو إسلام أحمد عبد الله : تاريخ الوجود التنصيري في إفريقيا.

الجزائري) في حضيرة القرآن كما فعلنا ذلك مدة طويلة». فاقترح تنصير الجزائريين أو إبعادهم إلى الجنوب[19]. وقال : «يتعين على فرنسا إما أن تقدم (للشعب الجزائري) – بل إني أخطأت التعبير – يتعين عليها أن تفسح لنا المجال لنقدم له الإنجيل وإما عليها أن تطرد هذا الشعب إلى الصحاري بعيدا عن العالم المتمدن»[20].

وفي رسالة أخرى بين سبب هذه السياسة، وهو مقاومة الجزائريين ضد الاحتلال الأجنبي فقال : «إن القضية في جوهرها كما أكدنا على ذلك مرارا هي قضية هذا الدين الذي وقف أمامنا في غزو الجزائر نهائيا». ولهذا الغرض أسس لافيجري جمعية لنشر الدين المسيحي ثم أسس جمعية المبشرين الذين يرتدون اللباس العربي وهم «الآباء البيض» سنة 1874.

وقد أخطأت الإدارة الفرنسية في نظر لافيجري لأنها احترمت الإسلام ومؤسساته، فطالبها بالتخلي عن مساعدة المساجد والمدارس الإسلامية التي تثبت «تعصب الأهالي»، فيجب أن تمنع هذه الإدارة تعليم القرآن وتسهيل أداء فريضة الحج. وتناسى الأسقف أن الحكومة الفرنسية قد استولت سنة 1843 على الأوقاف الإسلامية التي كانت تسهر على شؤون المساجد والمشاريع الخيرية.

---

[19] – شارل أندري جوليان : تاريخ إفريقيا الشمالية ص 440.

[20] – رسالة لافيجري في 16-04-1868.

وتسهيلا لإدماجهم رأى لافيجري أن تمنح أراضي للجزائريين المتنصرين، ولم يوافق طبعا على سياسة «الاحترام» لأنها كانت تبحث عن معاملة الأهالي في ظل القرآن وكان يعتقد أن المسلمين لا يمكن أن يتصوروا المستعمرين إلا في شكل «كلاب مسيحيين» على حد تعبيره، فيجوز لهم أن «يذبحوا ويرموا في البحر»[21]. وحق الكنيسة – في تنصير الأهالي كان يبرره – في نظره – تخلف الإسلام الذي تسبب في «انحطاط الشعب العربي من الناحية الأخلاقية»[22]. ولهذا كان من الضروري إبعاد الشعب عن الإسلام حتى يعود إلى ما كان عليه قبل القرن السابع الميلادي أي قبل الفتح الإسلامي. وسعى لافيجري أيضا أن يتولى التبشير في تونس بعد احتلالها سنة 1881، فعين أول أسقف في إفريقيا وكان له مقر بقرطاجة قريبا من تونس، غير أنه لم يكتف بهذا النشاط في الجزائر وتونس وإنما دفعه الطموح إلى مواصلة التبشير في القارة الإفريقية كلها، وكان السبب في ذلك أن الإسلام قد انتشر في هذه القارة بصفة ملحوظة بحيث أن عدد المسلمين فيها بلغ خمسين مليونا خلال قرن واحد. فكان لا بد من وضع حد لانتشار الإسلام. ووافقت روما الأسقف على ذلك وعينته «كاردينال» تقديرا لعمله التبشيري سنة 1882[23].

---

[21] – نفس المرجع.

[22] – شارل اندري جوليان. نفس المرجع 440.

[23] – عبد الجليل التميمي : الحركة التبشيرية في تونس، مجلة الأصالة، عدد 30، محرم – صفر 1396هـ/جانفي – فيفري 1916 ص 49-61.

3-2- نشاطه التنصيري :

* قضية اليتامى الجزائريين : شملت مجاعة كبيرة القطر الجزائري ما بين 1866 و1868[24] فاغتنم لافيجري هذه الفرصة ليجمع عددا من اليتامى الجزائريين بموافقة السلطة العسكرية. وطلب مساعدات مالية من المستوطنين وبعض المؤسسات ليبني ملجأ لهؤلاء الأيتام وقرر أيضا أن «يعمدهم» وان يربيهم تربية مسيحية وأن ينشئ لهم قرى فلاحية بعد رشدهم. إلا أن الوالي العام «مالك ماهون» لم يقبل هذا المشروع وعارضه تخوفا من غضب الأهالي ومقاومتهم العنيفة له. فحذر الأسقف قائلا : «إذا علم الأهالي بواسطة الصحافة أنكم تريدون تنصيرهم بالقوة أو إبعادهم عن بلادهم، أفلا يقولون بأنكم تريدون اغتنام هذه الفرصة التعيسة التي يعانون منها ليضحوا بدينهم في مقابل الخبز الذي قدمتموه لهم؟» فرد لافيجري بعنف على رسالة «ماك ماهون» قائلا : «إن هؤلاء الأطفال هم لي، لأن النفس التي هي فيهم أنا الذي حافظت لهم عليها، إذا فإن القوة وحدها هي التي يمكن أن تأخذهم من مآويهم»[25].

وفي الواقع أن الأولياء لم يطلبوا أطفالهم الذين استولى عليهم لافيجري وذلك لأنهم هلكوا عن آخرهم. وكانت أعمار اليتامى تتراوح بين الثامنة والعاشرة وبلغ عددهم 1753 طفلا في أول الأمر، إلا إنهم ماتوا بسبب المجاعة والتعب فبقي منهم 700 طفلا وزعهم لافيجري بين عدة ملاجئ. وفي سنة

---

[24] - يحي بوعزيز : المجاعة في الجزائر أواخر عقد الستينات من القرن 19. مجلة الأصالة، عدد 33، جمادي الأول 1396هـ ماي 1976م. ص 29.

[25] - الجنرال سبيلمان- ص 104.

1870، بعث بعدد منهم إلى روما حيث تم «تعميدهم» ويصعب علينا أن نتصور تعصبا أعظم من هذا وعداوة أكثر صلابة للمسلمين الذين لم يراع الأسقف شعورهم إطلاقا.

* إنشاء القرى المسيحية : قرر لافيجري إنشاء مراكز فلاحية لليتامى الذين نصّرهم وبين الغرض من ذلك في رسالته المؤرخة بـــ 6 أبريل 1878 فقال : «سنجد فيها (في هذه القرى) بعد سنوات قليلة مجموعة كبيرة من العمال المفيدين الذين يساندون تعميرنا ويصيرون أصدقاء لنا أو بعبارة أخرى سنجد عربا مسيحيين». وفي سنة 1869 اشترى الأسقف لافيجري بعض الأراضي في وادي شلف لينشئ قريتين لفائدة اليتامى المسيحيين. وشيد سنة 1872 قرية «سان سيبريان» تخليدا لأسقف قرطاجة السابق. وقد اختار هذا المكان لأنه وجد فيه آثار كنيسة قديمة. وأقام فيه 26 أسرة بعد ما زوج اليتامى الذين بلغوا سن الرشد. ومنح لكل أسرة 20 هكتارا صالحة للزراعة ومنزلا يتألف من غرفتين أو ثلاث غرف ومنحها تسبيقا من النقود أو من المواد الزراعية. وقد بنيت القرية حول الكنيسة، ويوجد في مدخلها بستان جماعي وإسطبل يأوي الحيوانات في المساء. غير انه لم تكن الأراضي ملكا لكل أسرة، ولكنها أجرت لها بثمن رمزي. وبهذه الطريقة ظل الفلاحون خاضعين لسلطة المنصرين.

ثم أسس الأسقف القرية الثانية بعد الأولى بقليل، وسماها «سانت مونيك» تخليدا لأم القديس أوغسطين، وتكونت القرية من 24 أسرة. ومن ضمن العائلات، نجد عائلات «فرانسوا بن عيسى» و«جان الشريف» الذين

كانوا يعيشون أولا في «سانت أوجين» تسمى اليوم رايس حميدو وأقامت «الأخوات البيض» في القرية واعتنين بالتعليم والتطبيب. وفي سنة 1876 أنشأ لافيجري مستشفى «سانت ايليزابيت» بالقرب من القريتين، وشيده بحضور شخصيات مدنية وعسكرية[26] وأعجب قنصل بريطانيا بلافيجري إلى أن شبهه بالقديس أوغسطين[27] واشتغل الفلاحون بالزراعة والرعي، كما أنهم اشتغلوا بالصناعات المحلية التي يحتاج إليها سكان القرية من نجارة وإصلاح العربات والحديد، وأنشئت كذلك بعض الدكاكين للتغذية العامة. ولم يختلط سكان القريتين بالمعمرين المسيحيين ولا بالجزائريين المسلمين. وكان لافيجري يخشى عليها عادات المسيحيين السيئة كما كان يخشى من المسلمين أن يضطهدوهم أو أن يجلبوهم للإسلام. وهذه العزلة المفروضة على سكان القريتين كانت لابد أن تؤدي إلى فشل المشروع طال الزمن أو قصر.

وقد اعتنى الآباء «والأخوات البيض» بتعليم اليتامى وتربيتهم الدينية وكانت تجمعهم الصلاة كل يوم بالسكان في كنيسة القرية.

واقتصر تعليم الأطفال على المبادئ الأولى من قراءة وحساب. ولم يكن من الضروري أن يتجاوز هذا التعليم مستوى معينا. فرفض الأب الذي اعتنى بتربية «جان بن عيسى» أن يقدمه إلى امتحان الشهادة الابتدائية بدعوى أنه قد تعلم أشياء كثيرة غير مفيدة وقد يؤدي به نجاحه إلى التكبر والتطلع إلى شيء

---

[26] - كلاين. ص 114 و127-128.

[27] - نفس المرجع ص 128.

آخر غير الزراعة فيضطرب أمره[28] فالغرض من هذا التعليم إذن هو ربط هؤلاء الناس بالأرض وجعلهم مساعدين للمعمرين الفرنسيين.

وكان ذلك هو هدف لافيجري إذ كتب في إحدى رسائله : «هذا هو بالتأكيد الحل الأنسب للقضية الجزائرية الكبرى لأنه هو وحده الذي يجعل تحت تصرفنا هذه الآلاف من الأيدي العاملة من أجل الأعمال السلمية وقد كانت دائما مستعدة لتحمل السلاح ضدنا وقد لاحظ –أحد مترجميه «فكرته الأساسية»في «إدماج الجزائر في فرنسا عن طريق المسيحية».

ولكن إذا كان هذا المشروع الثقافي الإستدماري في الجزائر قد فشل فشلا ذريغا لأصالة وعمق الإسلام في هذا المجتمع، لماذا يتنصر الجزائريون اليوم ؟

ثانيا:أسباب ووسائل التنصير في الجزائر المعاصرة.

إن العدد الكبير للمتنصرين في الجزائر يدل على أن هناك استراتيجية كاملة تستهدف إحياء أهداف الحروب الصليبية وجهود المستوطنين وعلى رأسهم لافيجري المتمثلة في استكمالهم لمشروعهم الثقافي، وذلك بضرب العمق العقائدي الإسلامي للشعب الجزائري، وخاصة إذا علمنا أن ظاهرة التنصير في تفاقم و نشاطها في توسع أكثر، مما يعقد الموقف في بلادنا، وخصوصا إذا عملنا أن الانجيليين الجزائريين الجدد (Les évengilistes Algériens) احفاد أصحاب القرى المسيحية ابنا لافيجري أنهم في قوة متزايدة هذه المرة كما بينه ذلك الانتشار السريع للكنائس في كامل التراب الوطني، ومؤتمر الكنيسة

---

[28] – نفس المرجع ص 121.

الانجيلية في مدينة تيزي وزو في سبتمبر 2000 الذي حضره المئات من الجزائر وبعض الدول الاروبية[29].

بينما المسلمين أو دعاة الإسلام في بلادنا منشغلون عن المنصرين بخلافاتهم التافهة وتكفيرهم لبعضهم البعض إلى درجة التصفية الجسدية؛ لأسباب واهية لا تمت بأي صلة لعقيدتنا الإسلامية ومبادئ ديننا الإسلامي الحنيف دين التوحيد والوحدة غافلين المهام الجسام و المشاكل الكبرى و الحقيقية للبلاد والشعب المسلم(الإرهاب-الفقر-التفكك الأسري-القضية اللأمازيغية-المنظومة التربوية...) ، في حين الكنائس تتوحد بكل الوسائل و بما أوتيت من قوة لتوحيد العمل وتكثيف الجهود[30] من أجل تنصير العالم أو وقف زحف الإسلام وخاصة الجزائر بوابة افريقيا.

---

[29]- جريدة اليوم.عدد .الثلاثاء 2001/04/10.

[30] Jean-paul Guetny ; (Quel christianisme pour le XXI° siécle ?) .Actualité des religions.N°9.oct.1999.pp.64-65.et voir :www yahoo.fr • Dossier : Religions du dimanche 22 février 2004, 16h23 . (AFP) Le cardinal Kasper considère sa mission à Moscou comme un "premier pas" été sur la voie de la reprise du dialogue avec l'Eglise orthodoxe russe. Le pape prie pour l'unité des chrétiens, Mgr Kasper reçu par Alexis II .

-[30]التنصير مفهومه ، أهدافه د/ علي إبراهيم النملة ص(73-76)بتصرف.

[30]-قناة العربية: التنصير في الجزائر:يومي2و12 ديسمبر2004،انظر

أ-أسباب التنصير:

تشهد الجزائر نشاطاً ملحوظاً لجماعات التنصير، التي نجحت حتى الآن في النفوذ إلى قلوب بعض الشباب(ذكورا وإناثا) من المسلمين أصحاب الظروف الاجتماعية أو المادية البائسة وتحويلهم عن دينهم، وتتوجّه هذه الجماعات إلي فئة المراهقين والمراهقات من الشباب، حيث تقوم بالدعاية لنفسها من خلال أنشطة رياضيّة وثقافيّة وفنيّة، تتخلّلها دعوات صريحة للتنصير، وتشجيع لهؤلاء الشبان علي الدخول في المسيحيّة، ويلقي المراهقون أو الشباب المغرّر بهم ترحيباً مبالغاً فيه من قبل تلك جماعات التنصيرية، ويتمّ دمجهم في جماعات تعمل علي غسل تدريجي لأدمغتهم، وعلي تلبية احتياجاتهم المادّية مهما كانت.

إن اللوبي الفرانكفوني العلماني المتطرّف والمعادي للإسلام والحضارة العربية والذي يشكل امتداداً للفكر الإنجيلي والإنجيليين هو مهندس النشاط الفاعل في الجزائر التي أصبحت تعجّ بالجمعيات والنوادي المتخصصة للدعوة المسيحية إلى جانب الكنائس.

---

www.arabiya.tv/article.aspx v=8436.

والبربر الذين قدموا للحضارة العربية والإسلامية أعظم الإنجازات يريد منهم هؤلاء أن يكونوا رأس حربة ضدّ الإسلام والمسلمين في الجزائر والعالم العربي والإسلامي.

1-ضعف التكوين الديني الإسلامي الذي ساهم في ضعف الوازع الديني وقلة الوعي والجهل بالدين و الحياة ، واختلاط الحق بالباطل و البدع عند كثير من المسلمين واختلاط الصدق بالخرافة و انتشار مظاهر الشرك مما يدل على التكوين المشوه للإسلام.

وذلك لتراجع دور المسجد و انحراف المنظومة التربوية، فيعمد المنصرون إلى ترسيخ هذه المفهومات بطريقتهم[33].

2-الوضع الأمني والسياسي: أسباب ازدهار الجماعات المسيحية أفرزتها، بحسب الدارسين، الأوضاع الأمنية التي عاشتها الجزائر في تسعينيات القرن الماضي.

فأسباب العنف وتطرف الجماعات الإسلامية خلال العشرية السوداء كان سبباً وعاملاً من العوامل الرئيسة في هذا التحوّل.

حيث قُدّم الإسلام بصورة مزيّفة على أنه أنهار من الدماء، وقُدّمت الديمقراطية على أنها آليات كفر، وقُدّمت الحضارة بأنها تكفير مما جعل شبابنا يتوسّم في المسيحية بأنها دين سلام.

يقول القس المنصر الفرنسي إدوارد كوفالسكي:أعتقد أن هذا سببه الأحداث القاسية التي مرّت بها المنطقة وعانوا فيها الناس ويلات الحرب والعنف والناس عادةً عندما يفقدون دويهم يلجئون إلى أشياء تريحهم وهذا ما وجدوه في الإنجيل وتقربهم إلى المسيح وانبعاث المسيحية هنا حصل نتيجة تحولات شملت حياة الناس على المستوى الاجتماعي والصحي وإيمانهم بأن للمسيحي دوراً حاسماً في ذلك.[35]

3-**الوضع الاجتماعي**:لقد وجد المنصرون أرضية خصبة صنعتها الظروف المعيشية الصعبة للجزائريين كالفقر و البطالة.وهي من مخلفات الوضع الأمني والكوارث الطبيعية التي حلت بالبلاد (فيضانات- زلازل-جفاف..).

إلى جانب ظاهرة التفكك الأسري التي بدأت تنتشر في المجتمع الجزائري المسلم التي يستغلها المنصرون في تكوين اسر مسيحية بالزواج الكنسي.

4-**التغريب و الغزو الثقافي بكل اشكاله**:وهو إعادة محاولة حديثة للمخطط الإستدماري القديم وتطبيق لمشروعهم الثقافي، بترقية اللغة الفرنسية على حساب اللغة العربية في المنظومة التربوية، و إجهاض سياسة التعريب.

5-ضعف العمل الدعوي الإسلامي: المتمثل في ضعف أساليب و طرق الوعض و الإرشاد و اقتصار النشاط الدعوى في المناسبات والأعياد الدينية فقط و في المساجد دون شموليتها لبقية الأماكن و المراكز وعلى مدار السنة ولافتقارها لمخططات هادفة محكمة و انعدام التنسيق بين مختلف المؤسسات الدعوية و الرسمية في الجزائر و هذا يدل على تقصير الدعاة و قلة الخبرةهم .

ب-و سائل وطرق التنصير

يبدأ العمل التنصيري عن طريق العديد من الجمعيات الخيرية التي تتظاهر بالوقاية من الخمر و المخدرات والدعوة إلى الأخلاق الحسنة.

كما يتم إدماج الشباب المتردد على المكتبات التابعة للكنائس حيث يتم استقبالهم من قبل الرهبان و تزويدهم بالكتب و المجلات التبشيرية وبأشرطة فيديو.

1) **الدعم المالي المنظم و الدائم** وهو العمود الحامل لبقية الوسائل فبالمال تتوفر لهم كل الغايات2
2)) **الاهتمام الفائق بالمعرفة والتعليم**:وباستغلال التعليم يتم التنصير وذلك بمحاربة اللغة العربية عن طريق المدارس الخاصة وتحريف البرامج الدراسية، وإنشاء دور الحضانة ورياض للأطفال وفتح المكتبات التبشيرية والبرامج التلفزيونية التنصيرية.

3) **الإعلام والاتصال والثقافة**:وتتمثل في مايلي:

* توزيع الكتيبات الدينية المسيحية و الأناجيل، مطبوعة طباعة راقية وبكل الإحجام، على المسلمين مجاناً، كما تُوزع أقراص مضغوطة عن حياة سيدنا المسيح عليه السلام باللهجة الدارجة الجزائرية و اللهجات الأمازيغية، لتكون أقرب لعامة الناس.

إلى جانب المجلات و المطويات المختلفة حول التعريف المسيحية و تشويه الإسلام.

* المراسلات: وهي من أخطر وأنجح الوسائل لسهولتها ووصولها في الغالب وإمكانية تداولها.

* الإذاعات و القنوات التلفزيونية الفضائية التنصيرية.

4) **خدمة المجتمع و رعايته** :

تعد الكوارث من فيضانات وزلازل فرصة ذهبية لهم يجب أن تنتهز بقوافل الإغاثة و المساعدات الغذائية تتقدمها الإرساليات الطبية مدججة بالأدوية و المستشفيات المتنقلة، وهذه الوسيلة من أخبث و أسرع أساليب المبشرين لتحقيق أهدافهم التنصيرية في صفوف المسلمين الفقراء.

كما تبني حركة الأندية الترفيهية و الرياضية المشبوهة و تزويدها بالمسابح والمراقص، والاهتمام بالملاجئ للكبار ودور لليتامى و اللقطاء، و إنشاء مخيمات الكشافة التي تستغل أفضل استغلال في التنصير، و زيارة المسجونين والمرضى في المستشفيات وتقديم الهدايا والخدمات لهم.

5) **إذكاء نار الفتن و الضغائن** لإضعاف شوكة الشعب الجزائري المسلم بتقسيمه إلى عرب غزاة وبربر مضطهدين في وطنهم الأم، كأحداث منطقة القبائل و غرداية والجنوب الجزائري، بينما هم أصبحوا بنعمة الله إخوانا، إذ ألف عز وجل بينهم بالإسلام وكلمة الحق والتعاون على نصرة أهل الإيمان

والتآزر على من خالفهم من أهل الكفر إخوانا متصادقين لا ضغائن بينهم ولا تحاسد ، قال سبحانه وتعالى: (...كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله).

6) **إيجاد منصرين من بين الجزائريين المسلمين أنفسهم**، فمن أهم أساليبهم وطرقهم التكوينية بعد التنصير، إيفاد المتنصرين الجزائريين إلى مرجعياتهم الكنسية في فرنسا وسويسرا وأمريكا للتعميد وإجراء دورة تكوينية والعودة إلى الجزائر للإشراف على الكنائس الرسمية وغير الرسمية حيث يكلف 94% من المنصرين بنشر المسيحية [36].

7)**الطعن في الدين الإسلامي** و تشويه الإسلام باستغلال السلوكيات الخاطئة للمسلمين(التعصب،العنف و الإرهاب،عدم الالتزام الديني..) في تجمعاتهم وعقب صلواتهم في الكنائس.

الخاتمة :

هذه جذور وآثار المشروع الثقافي الإستدماري في الجزائر المتمثلة في حركة التنصير باعتبارها من أهم مظاهره، ومن أخطر أساليب الاحتلال المعاصرة.

فالصراع العالمي الجديد للدول الكبرى من أجل الإستحواذ على مناطق النفوذ في العالم

و اقتسام العالم الإسلامي- الذي يمثل لها مصدر إزعاج ويهدد مستقبلها في ضوء الصحوة الإسلامية الرشيدة،-و تحت غطاء العولمة و تنفيذا لذلك

---

[36]-- انظر : جريدة السفير الاسبوعية : ع144، 30ذي حجة- 6محرم1423 3-9 مارس 2003م. ص14. والعدد 145.ص14.

المشروع، تتعرض الجزائر اليوم كما بينا إلى غارة تنصيريّة منظمّة تضطلّع بها عشرات المنظمّات والجمعيّات التنصيريّة التي تتحرّك في الأوساط الشعبيّة والجماهيريّة بكل حريّة، مستغلّة الأوضاع الأمنيّة والسياسيّة وانفجار الجبهة الاجتماعيّة لتنفذ إلى قلوب الكثير من شرائح المجتمع و الشباب على وجه الخصوص.